ابن حزم الأندلسي ومنهجه في الحوار والمناظرة

د. نوره سعيد علي الفهيد الهاجري(*)

المُلخَّص:

في هذا البحث تم تسليط الضوء على شخصية الإمام ابن حزم الأندلسي ومنهجه في الحوار والمناظرة، وذلك من خلال دراسة سيرته العلمية والفكرية، وتحليل أسلوبه في الجدل مع المخالفين من داخل الملة الإسلامية وخارجها. وقد أظهر البحث أن ابن حزم تميز بمنهج جدلي صارم، يعتمد على النصوص الشرعية وظواهرها، ويرفض القياس والتقليد والمصالح المرسلة، ما جعله خصمًا قويًّا في المناظرات، لا سيما مع اليهود والنصارى؛ حيث ناقشهم بالاعتماد على كتبهم ولغتهم، مدافعًا عن الإسلام بمنطق عقلي حاد. كما بيّن البحث أن كتبه، وعلى رأسها "الفصل في الملل والنحل"، تمثل مرجعًا مبكرًا في نقد الأديان السماوية، وأنه رغم ما عرف عن أسلوبه من الحدة والصرامة، فإنه أسهم بشكل كبير في إثراء الفكر الإسلامي الجدلي. وخلصت الدراسة إلى أهمية إعادة النظر في منهجه الجدلي وتفعيله في الخطاب المعاصر للدفاع عن الإسلام بعقلانية رصينة.

الكلمات المفتاحية: ابن حزم، الحوار، المناظرة

(*) (بحث تخرج) كلية الشريعة جامعة قطر.





Abstract

This research highlights the personality of Imam Ibn Hazm al-Andalusi and his methodology in dialogue and debate, through a study of his intellectual and scholarly biography, and an analysis of his argumentative style with opponents both within and outside the Islamic faith. The study reveals that Ibn Hazm was distinguished by a strict dialectical method, relying heavily on the apparent meanings of scriptural texts while rejecting analogical reasoning, blind imitation, and considerations of public interest. This made him a formidable opponent in debates, especially with Jews and Christians, whom he confronted using their own scriptures and languages, defending Islam with sharp rational arguments.

The research also shows that his writings—most notably *"Al-Faṣl fī al-Milal wa-al-Niḥal"*—represent an early and significant contribution to the critical study of the Abrahamic religions. Despite his famously harsh and rigid style, Ibn Hazm greatly enriched Islamic dialectical thought. The study concludes with a call to reconsider and reactivate his argumentative methodology in contemporary discourse, to defend Islam with sound and rational reasoning.

Keywords: Ibn Hazm, dialogue, debate

المقدّمة

يُعدّ الإمام **ابن حزم الأندلسي** (٣٨٤هـ - ٤٥٦هـ / ٩٩٤م - ١٠٦٤م) من أبرز أعلام الفكر الإسلامي في الأندلس، ومن أكثر الشخصيات الجدلية تأثيرًا في التاريخ الإسلامي، جمع بين العلوم الشرعية والفكر الفلسفي، وكان موسوعي المعرفة؛ فقد برع في الفقه، والحديث، والأصول، والتاريخ، والأدب، والمنطق، إضافة إلى نقد الأديان. ينتمي ابن حزم إلى **المدرسة الظاهرية**، وكان رافضًا التأويل والقياس، ما جعل له منهجًا خاصًّا ومتفردًا في الجدل والمناظرة.

كانت في الأندلس مذاهب سُنيَّة أخرى غير المذهب المالكي المذهب الرسمي للبلاد، أشارت إليها المصادر الأندلسية وذكرت رجالها ومنسوبيها كمذهب أبي حنيفة، ومذهب الأوزاعي الذي استقر في الأندلس قبل مجيء ودخول المذهب المالكي للأندلس، وظل وجوده مستمرًّا هناك حتى زحزحه فقهاء المالكية دون عناء يذكر، ومذهب الإمام الشافعي، ورابع المذاهب السنية هو مذهب ابن حزم القرطبي المعروف "بالمذهب الظاهري" الشهير بتصانيفه العديدة وآرائه المتميزة والفريدة، والتي تناقض ثوابت مهمة في الفقه المالكي خاصة ما يتعلق بالقياس والمصالح المرسلة، وهذه الثوابت جاء المذهب الظاهري الوافد من المشرق لنقضها والتشنيع عليها، الأمر الذي قوبل بالمثل من قبل فقهاء المالكية الذين لم يدخروا جهدًا في التحذير الشديد من الظاهرية وأتباعها، نتطرق في هذا البحث إلى ابن حزم الأندلسي ومنهجه في الحوار والمناظرة.

وتبرز أهمية دراسة منهجه في الحوار والمناظرة اليوم لما يحمله من قدرة على الجمع بين التمسك بالأصول والجدل العقلي الرصين، في زمن تتعدد فيه التحديات الفكرية والثقافية التي تواجه الخطاب الإسلامي.

ومن أسباب اختيار الموضوع، نظرًا لأهمية فكر ابن حزم في تاريخ الفكر الإسلامي، فقد دفعنا ذلك إلى اختيار هذا الموضوع، كمحاولة للتركيز على الجانب المنهجي عند ابن حزم وانتهاج نهجه في الرد على أصحاب الملل، وتسليط الضوء على هذا النوع من

الدراسات؛ لأثراء المكتبات العربية، وتعريفهم بهذا النوع من المناهج المستخدمة للرد على ما يحاك ضد المسلمين.

أما عن المنهج المتبع في الدراسة، فإن طبيعة الموضوع تتطلب استخدام المنهج التحليلي المقارن، بالإضافة إلى استخدام قواعد الجدل وآداب المناظرة، ومن ثَمَّ فإن المنهج الجدلي يجعل حرية الرأي في حدود الإقناع، بعيدًا عن التعصب والأغراض الشخصية، وهوى النفس، والتأثر بالمذاهب؛ لذا فإن المذهب الجدلي له دور كبير في الدعوة الإسلامية.

أما عن الدراسات السابقة فهي على النحو التالي:

١. الحميدي: أبو عبد الله محمد بن فتوح: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م.

يتناول كتاب جذوة المقتبس سِيَر علماء الأندلس بما يُبرز ملامح الحركة العلمية والجدل الفكري في تلك الحقبة، ويشترك هذه الدراسة مع في فهم المناخ الثقافي الذي تشكّل فيه منهج ابن حزم الظاهري، ويكشف الكتاب عن الشخصيات العلمية التي أثّرت في ابن حزم أو عاصرته. واقتصر النقد على هذه الدراسة على سرد المعلومات دون تقديم وغياب التحليل الشخصي.

٢.عبد الله بن علي الزيدان وغيره، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٦.

يتناول هذا الكتاب تاريخ الأندلس عبر مراحله المختلفة، مُبرزًا مظاهر التحول السياسي والتنوع الثقافي على مدى قرون من الحكم الإسلامي، مع تسليط الضوء على الإنجازات الحضارية والعلمية التي قدّمتها الأندلس للعالم الإسلامي والإنساني، وتتقاطع هذه الدراسة مع البحث في خلفية الصراع الفكري والمنهج الفقهي القائم على الظاهر والنص، ورفض التقليد.





يُلاحظ على الدراسة تهميش دور الفكر في تفسير التحولات التاريخية، فابن حزم بوصفه ظاهرة فكرية متمردة على التقليد المذهبي لا يُعطى الحضور الكافي، بل يُذكر في إطار عابر.

وتتناول الدراسة المباحث الآتية:

المبحث الأول: ترجمة حياة ابن حزم الظاهري.

المبحث الثاني: منهج الجدل والمناظرة عند ابن حزم.

المبحث الثالث: مناظرات ابن حزم الأندلسي مع غير المسلمين.

المبحث الأول

ترجمة حياة ابن حزم الظاهري

المطلب الأول: حياة ابن حزم ومؤلفاته

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، الفارسي الأصل[١]، ثم الأندلس القرطبي اليزيدي، كان جده يزيد مولى للأمير يزيد بن أبي سفيان الأموي، فهو قرشي بالولاء فارسي الجنس، وجده خلف بن معدان هو الذي دخل إلى الأندلس مع نفر من أصحاب عبد الرحمن الداخل[٢].

وأما عن مولده، فقد ذكر ابن حزم نفسه تاريخ ومكان ميلاده في رسالة بعث بها إلى تلميذه القاضي صاعد الأندلسي نقلها صاحب معجم الأدباء كتب له فيها: ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح، آخر ليلة الأربعاء، آخر يوم من شهر رمضان المعظم[٣].

نشأ ابن حزم منذ ولادته في مدينة قرطبة العريقة في عز وجاه؛ وذلك بسبب المكانة المرموقة التي تتمتع بها أسرته في المجتمع الأندلسي، فوالده من وزراء المنصور بن أبي عامر، ومن وجوه قرطبة وأعيانها، ومن أهل العلم والأدب والبلاغة فيها، اشتهر بثرائه وغناه حتى إنه يملك أحسن الدور والقصور التي تتوسط بساتين قرطبة، فنشأ ابن حزم في هذه البيئة تكتنفه مظاهر الترف والعيش المنعم وتأسره مغريات الجمال وسط عائلة تنتمي إلى طبقة أولي السلطة والجاه والنفوذ، فاهتم به والده منذ صباه وعهد به إلى النساء في قصره ليقمن بتربيته وتعليمه، فكنّ أول من علمنه مبادئ العلوم والقرآن والشعر

---

[١] الحموي، شهاب الدين ياقوت: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، تونس ١٩٩٣، ص٤.

[٢] محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته وعصره – آراؤه وفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٢٠.

[٣] الحموي: مصدر سابق، ٤، ص١٦٥٦.





والأدب[1]، ثم بعد ذلك اصطحبه والده إلى حلق الحديث، وكان أول سماعه الحديث قبل سنة الأربعمائة من الهجرة كما يقول تلميذه الحميدي[2].

عاش ابن حزم أول عمره حياة صافية نقية لا يشوبها كدر وسط بيوت الأمراء والوزراء، ولكن ذلك العيش الهنيء وتلك السعادة الهادئة لم تستمر له ولأسرته المترفة، فسرعان ما تبدلت الأحوال وتغيرت الأمور عقب انتهاء حكم الأسرة العامرية سنة (٣٣٩هـ/ ١٠٠٨م) وبداية عصر الفتنة، وما تلاه من استيلاء البربر على قرطبة وتنكيلهم بأهلها وذلك سنة (٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) ما اضطر ابن حزم وأسرته إلى الخروج عن قرطبة متنقلًا من مدينة لأخرى، وفي ذلك يقول ابن حزم: "وضرب الدهر ضرباته وأجلينا عن منازلنا، وتغلب علينا جند البربر، فخرجت عن قرطبة أول المحرم عام أربع وأربعمائة"[3]، ثم عاد إلى قرطبة سنة (٤٠٩هـ/ ١٠١٨م) وتقلد مناصب الوزارة لمن تبقى من خلفاء بني أمية، وفي ذلك يقول ياقوت الحموي: "كان الفقيه أبو محمد وزيرًا لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن الناصر".

لم تدم وزارة ابن حزم للخليفة المعتد بالله آخر خلفاء بني أمية طويلًا؛ إذ سرعان ما تركها وأقبل على طلب العلم، وكان ذلك آخر عهد له بالسياسة والوزارة[4].

المطلب الثاني: المذهب الظاهري - أسسه ومعالمه ورجاله - في الأندلس

أصل المذهب الظاهري وجذوره ترجع إلى مؤسسة داود بن علي الأصبهاني، فهو أول من قام بنفي القياس، ومدرسته تقترب من مدرسة أهل الحديث في العديد من القواعد والأصول من حيث الاهتمام بالرواة والأسانيد، وقد انتشر مذهبه بالأندلس عن طريق

---

[1] ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ضمن مجموع رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٦٦.

[2] الحميدي: أبو عبد الله محمد بن فتوح: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م، ص٤٤٩.

[3] ابن حزم، مرجع سابق، ص١٧٠.

[4] محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص٣٧.





تلميذه عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال القرطبي المتوفي سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥ م الذي قام بنسخ كتب أبي داود كلها وأدخلها الأندلس، ثم جاء بعده سلسلة من تلاميذ الذين أسهموا في المنهج الظاهري.

معالم مذهب أهل الظاهر وأسسه:

- الالتزام بالنص الثابت في الكتاب والسنة في حدود المعنى الظاهر، فلا تأويل ولا مجاز مطلقًا إلا بنص واضح أو إجماع متيقن، وفي ذلك يقول ابن حزم: "ولا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها، ولا خبرًا عن ظاهره؛ لأن الله تعالى يقول: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}[١].
- نفي القول بالقياس واعتباره من الرأي المذموم، والقول على الله تعالى بغير علم، وأنه لا يحل الحكم بالقياس في الدين[٢].
- رفض القول بالأدلة الفعلية من استحسان ومصالح مرسلة وسد للذرائع؛ لأنها كلها من باب القول في الدين بالرأي والهوى الباطل.
- رفض التقليد مطلقًا، قال ابن حزم: "والتقليد حرام، لا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد بلا برهان، والعامي والعالم في ذلك سواء، وعلى كل أحد حظه الذي يقدر عليه من الاجتهاد".

ومن خلال ما سبق، يتضح أن الفقه الظاهري هو الوقوف عند حدود الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة دون عناية بعللها ومقاصدها، ودون الاهتمام بالقرائن والظروف المحيطة بتلك الألفاظ حين ورودها[٣].

---

[١] سورة الشعراء: الآية رقم (١٩٥).

[٢] محمد المنتصر الكتاني وأشرف عبد المقصود: موسوعة تقريب فقه ابن حزم الظاهري، منشورات مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٣م، ج١، ص ٣٢.

[٣] عبد المجيد محمود عبد الحميد: الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، بدون مكان، ١٩٧٩م، ص٣٣٥.





ترى الباحثة أن نفى القياس عند ابن حزم لا يعنى أهمية استخدام العقل لديه، لفهم الأحكام الشرعية.

المبحث الثاني

منهج الجدل والمناظرة عند ابن حزم

المطلب الأول: قواعد منهج الحوار والمناظرة وآدابه عند ابن حزم

لقد حرص القرآن الكريم على تعليم الأمة الإسلامية آداب الحوار والجدل، وقواعده، وقيده بأن يكون بالتي هي أحسن اتباعًا لقوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[١]، واتباعًا للأخيار الذين انتهجوا نهجه، وامتثالًا لقوله عز وجل: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[٢]، فالجدال الذي يسمح به الإسلام في الدعوة هو جدالٌ بالتي هي أحسن. فما هي قواعد المنهج الجدلي؟ وما هي آدابه؟

القاعدة الأولى: (ضرورة تخلي كل من الفريقين المتصديين للمحاورة الجدلية حول موضوع معين عن التعصب لوجهة نظره السابقة، وإعلانهما الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة والأخذ بها عند ظهورها سواء كانت هي وجهة نظره السابقة، أو وجهة من تحاوره في المناظرة أو وجهة نظر أخرى)[٣]، كما يشير القرآن الكريم إلى هذه القاعدة في قوله تعالى معلمًا الرسول –صلى الله عليه وسلم– أثناء حواره مع المشركين أن يقول لهم: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[٤].

القاعدة الثانية: (تقيد كل من الفريقين المتحاورين بالقول المهذب البعيد عن كل طعن، أو تجريح، أو سخرية، أو احتقار لوجهة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من

---

[١] سورة العنكبوت، الآية رقم (٤٦).

[٢] سورة الأحزاب، الآية رقم (٢١).

[٣] عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة، دار القلم، بيروت، د.ت، ص٣٧٢.

[٤] سورة سبأ، الآية رقم (٢٤).





يحاوره)[١]، وقد نص الله تعالى في كتابه الكريم على هذه القاعدة في أمره بالجدل والحسن في الجدل "بالتي هي أحسن"، فعلى المسلم أن يتحلى في حواره عن السب والشتم كما في قوله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}[٢]. وترى الباحثة أن هذه القاعدة هي أفضل قواعد الجدال الحسن.

القاعدة الثالثة: (التزام الطرق المنطقية السليمة لدى المناظرة والحوار، ومن الطرق المنطقية السليمة: تقديم الأدلة المرجحة للأمور، والمدعاة، وإثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية، ومن ذلك أخذوا القاعدة المشهورة: ((إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل؟»[٣]، والمقصود هنا هو مراعاة قواعد المنهج الجدلي، وذلك بإقامة الدليل على دعواه، وأن كان ناقلًا عن غيره، يجب عليه أن يلتزم الدقة، ولا يحرف الكلام عن موضعه[٤].

القاعدة الرابعة: (ألا يكون المناظر ملتزمًا في أمر من الأمور بضد الدعوى التي يحاول أن يثبتها، فإذا كان ملتزمًا بشيء من ذلك كان حاكمًا على نفسه بأن دعواه مرفوضة من وجهة نظره)[٥].

القاعدة الخامسة: ((ألا يكون في الدعوى أو الدليل الذي يقدمه المناظر تعارض، أي لا يكون كلامه ينقض بعضه بعضًا، فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطًا))[٦]، ومن ذلك ما يذكره القرآن الكريم عن فرعون أثناء وصفه لموسى عليه السلام بقوله: {ساحر أو مجنون}[٧]، فمن غير المعقول منطقيًا أن يكون مترددًا بين كونه مجنونًا؛ لأن من شأن الساحر الفطنة والذكاء والدهاء، وهو أمر يتنافى مع الجنون، فهو جمع بين أمرين

---

[١] عبد الرحمن حسن حنبكة، مرجع سابق، ص٣٧٤.

[٢] سورة الأنعام، الآية رقم (١٠٨).

[٣] عبد الرحمن حسن حنبكة، مرجع سابق، ص٣٧٦.

[٤] نور الدين عاشور أحمد، منهج الجدل والمناظرة عند ابن حزم، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية الجامعة الأسمرية زليتين، العدد ٢٨، ٢٠١٦، ص٣٧٤.

[٥] عبد الرحمن حسن حنبكة، مرجع سابق، ص٣٧٦.

[٦] المرجع السابق، ص٣٧٨.

[٧] سورة الذاريات، الآية رقم (٣٩).





متضادين، وهذا يسقط عند المناظرة، ولا يستحق الجواب، وهو يبين أن فرعون يتهرب من منطق الحق، ويطلق هذه العبارة حتى لا يفتضح أمره[١].

القاعدة السادسة: ((ألا يكون الدليل الذي يقدمه المناظر ترديدًا لأصل الدعوى، فإذا كان كذلك لم يكن دليلًا، وإنما هو إعادة للدعوى بصيغة ثانية، وسقوط هذا في المناظرة أمر بديهي، وقد يخفى على الخصم إذا استخدم المناظر براعته في تغيير الألفاظ وزخرفتها، ولكنه حيلة باطلة لا يلجأ إليها طلاب الحق))[٢].

القاعدة السابعة: ((عدم الطعن بأدلة المناظر إلا ضمن الأصول المنطقية، أو القواعد المسلم بها لدى الفريقين المتناظرين))، والمقصود من هذه القاعدة هو المنع بمعنى طلب الدليل على مقدمة معينة، والمعارضة.

القاعدة الثامنة: ((إعلان التعليم بالقضايا، والأمور التي هي من المسلمات الأولى أو من الأمور المتفق عليها، بين الفريقين المتناظرين على التسليم بها، أما الإصرار على إنكار المسلمات فهو مكابرة قبيحة، منحرفة عن أصول المناظرة، والمحاورة الجدلية))[٣].

القاعدة التاسعة: ((قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة، إذا كان الموضوع مما يكفي فيه الدليل المرجح، وإلا كانت المناظرة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه))[٤]، والمقصود من هذه القاعدة هو أن يقبل الطرفان بعد انتهاء المحاورة، وظهور الحق للتسليم به، وقبول الدعوى التي تثبت بالدليل[٥]؛ لذا عاب القرآن الكريم على من أنكر الحق بعد وضوحه في قوله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}[٦].

---

[١] نور الدين عاشور أحمد، مرجع سابق، ص٣٧٤-٣٧٥.

[٢] عبد الرحمن حسن حنبكة، مرجع سابق، ص٣٧٩.

[٣] المرجع السابق، ص٣٧٩.

[٤] المرجع السابق، ص٣٧٩.

[٥] نور الدين عاشور أحمد، مرجع سابق، ص٣٧٥.

[٦] سورة النمل، الآية رقم (١٤).

ترى الباحثة أن القواعد الجدلية التي وضعها ابن حزم تعد من القواعد الرصينة للمنهج الجدلي الصحيح التي اعتمد عليها المسلمين فيما بعد.

المطلب الثاني: الجدل والمناظرة عند ابن حزم

إن التفكير الحزمي يقوم على ظاهريته المتمسكة بالنص قرآنًا وسنة صحيحة، مع نبذ للقياس، وبالنظر إلى مصنفات ابن حزم، يلمس القارئ ذلك الجدل الذى يقيمه مع مخالفيه ورده عليهم بطريقة يغلب عليها الطابع المنطقي بعد انتهائه من النقد الحديثي، كما هو الحال في (المحلى) و(الإحكام في أصول الأحكام) و(الفصل في الملل والأهواء والنحل)، ولم يكن للأندلسيين أنس بطرق الجدل، فكان نهجه أكبر سبب في عدم صمودهم في وجهه، ولأجل ذلك ألف أبو الوليد الباجي لهم كتابًا سماه (المنهاج في ترتيب الحجاج)، صرح في مقدمته أنه ألفه لبعض أهل عصره لما لمسه فيهم من عدم المعرفة بأصول الجدل[١].

ولم يقف الحوار الديني عند ابن حزم مع المسلمين في الفقه وأصوله والعقيدة، بل نجده يجريه مع غير المسلمين أيضًا في مجال عقائدهم كما في رسالته في الرد على ابن النغريلة اليهودي[٢]، وفي كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) نتيجة مناقشات طويلة دارت بينه وبينهم، يرد عليهم بالحجة والبرهان، انطلاقًا من كتبهم التي تعامل معها مباشرة، معتمدًا في ذلك على الحقائق التاريخية والحساب والجغرافية وإلزامهم بما جاء نصًّا في كتبهم ومقتضيات العقل السليم بعد بيان عدم تواتر كتبهم، وكذا عدم نقلها عن طريق الثقات بسند يطمئن إليه.

---

[١] أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ص٧.

[٢] ابن حزم، رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت، ٣/٤٥.





المبحث الثالث

مناظرات ابن حزم الأندلسي مع غير المسلمين

المطلب الأول: مناظرة ابن حزم لابن النغريلة اليهودي

توافرت لابن حزم الأدوات العلمية للمناظرة الدينية، فقد ناظَرَ عددًا من العلماء اليهود والنصارى، وكان له معهم مساجلات مشهورة وأخبار مكتوبة، اطَّلَع على كتبهم ومؤلفاتهم، وعايش طبائعهم وأخلاقهم من كثب، كما كان للظروف السياسية التي ذكرناها نصيب في توجيه فكر ابن حزم لمواجهة اليهودية ومناقشتِها، خصوصًا بعد أن بلغ اليهود في الحكومات الأندلسية مراتب عالية؛ حيث بلغ التسامح مداه في إمارة غرناطة على عهد بني زيري؛ إذ تولى إسماعيل بن النغريلة اليهودي منصب رئيس الوزراء، وهو أرفع منصب في الدولة بعد منصب الأمير، يشهد على ذلك ما كتبه بن حيان وهو المعاصر له: «وكان هذا اللعين في ذاته، على ما زوى الله عنه من هدايته، من أكمل الرجال علمًا وحلمًا وفهمًا وذكاء ... ناهيك من رجل كتب بالقلمين، واعتنى بالعلمين، وشغف باللسان العربي، ونظر فيه وقرأ كتبه، وطالع أصوله... ولا يقصر فيما ينشئه عن أوسط كتاب الإسلام، فجمع لذلك السجيح في علوم الأوائل الرياضية، وتقدم منتحليها بالتدقيق للمعرفة النجومية، ويشارك في الهندسة والمنطق... وكان قد حمل ولده يوسف المكنى بأبي حسين المعلمين على مطالعة الكتب، وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية يعلمونه ويدارسونه، وأعلقه بصناعة الكتابة»[1].

وقد كتب ابن حزم رسالة مشهورة في الرد على ابن النغريلة اليهودي بعد أن تطاول على شريعة الإسلام، وشكك في نصوص القرآن الكريم، عُرِفَتْ باسم: "رسالة في الرد على ابن النغريلة".

---

[1] محمد بن عبد الله السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٤/١.





يخبرنا ابن حزم في مقدمة هذه الرسالة عن الأسباب التي عجلت بالتصادم الفكري بينه وبين شيخ اليهود في غرناطة الوزير ابن النغريلة، والخلاف قائم بين الباحثين حول تحديد الشخصية التي ناظرها ابن حزم، هل هو إسماعيل بن النغريلة الأب، أم هو يوسف بن النغريلة الابن، حيث ذهب فصيل من المؤرخين إلى أن المحاور هو إسماعيل بن النغريلة، في حين ذهب فصيل آخر إلى أن المحاور هو يوسف بن النغريلة الابن، وسبب ذلك أن ابن حزم لم يذكر في رسالته هذه صراحة اسم الشخصية التي وجه إليها خطابه.

الخصومة الفكرية بين ابن حزم وابن النغريلة كانت بسبب أن هذا الأخير ألف كتابًا ينتقد فيه القرآن ويصفه بالتناقض، ويرى ابن حزم أن تطاول هذا اليهودي على كلام الله قدح في مقدسات الدين، واستخفاف بكتاب الله وبمسلمي الأندلس وأمير غرناطة، وهو ما حرك في نفسية الرجل الشعور بالحمية الدينية والدفاع عن مقدسات المسلمين وعن ثوابت القرآن الكريم.

ومن أمثلة ردود ابن حزم في هذه الرسالة أن ابن النغريلة اعترض على ما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾[1]، حيث أنكر تقسيم القائلين بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن محمد، وأخبر أن كل ذلك من عند الله، قال: ثم قال في آخر الآية: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[2]، قال ابن النغريلة: فعاد مصوبًا لقولهم ومضادًا لما قدم في أول الآية.

فرد عليه ابن حزم بالقول: «لو كان هذا الجاهل الوقاح أقل بسطة أو أدنى حظًّا من التمييز لم يعترض بهذا الاعتراض الضعيف، والآية المذكورة مكتفية بظاهرها عن تكلف تأويل، مستغنية ببادي ألفاظها عن تطلب وجه لتأليفها، ولكن جهله أعمى بصيرته وطمس إدراكه، وبيان ذلك أن الكفار كانوا يقولون: إن الحسنات من عند الله عز وجل، وأن

[1] سورة النساء، الآية رقم (٧٨).

[2] سورة النساء، الآية رقم (٧٩).

السيئات من عند محمد صلى الله عليه وسلم، فأكذبهم الله تعالى في ذلك، وبيّن وجه ورود حسنات الدنيا وسيئاتها على كل من فيها بأن الحسنات السارة من عند الله بفضله على الناس، وأن كل سيئة يصيب الله تعالى بها إنسانًا في دنياه فمن قبل نفس المصاب بها بما يجني على نفسه من تقصيره في أداء حق الله الذي لا يقوم به»[١].

كما اعترض ابن النغريلة على قول الله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾[٢]، وتساءل: كيف يكون الماء مباركًا وهو يهدم البناء ويهلك الكثير من الحيوان؟ ويرد عليه ابن حزم: «من لم يكن مقدار فهمه وعقله إلا هذا المقدار، لقد عجل الله له العقوبة في الدنيا والحمد لله رب العالمين. أمَا درى هذا الجاهل أنه لولا شرب الماء لم يكن في الأرض حيوان أصلًا لا إنسان ولا ما سواه، وأن عناصر جميع المياه الظاهرة على وجه الأرض والمختزنة في أعماقها إنما هي من مواد القطر النازل من السماء أما رأى هذا الأنوك أن الأمطار إذا كثرت غزرت العيون وفهقت الأنهار وطفحت البرك وامتلأت الآبار وسالت السيول وتفجرت في الأرض ينابيع حتى إذا قلّت الأمطار وضعفت العيون ونقصت الأنهار وجفت البرك والآبار وانقطعت السيول وغارت الينابيع...»[٣].

وهذا غيض من فيض مما دار بين ابن حزم وابن النغريلة من مناظرات ومجادلات.

المطلب الثاني: اعتراضات ابن حزم على مزاعم النصارى

كان ابن حزم سيال القلم، كثير التأليف؛ حيث يذكر أنه ألف نحو أربعمائة مجلد يحتوي على ما يقارب من ثمانين ألف ورقة، ضاع جُلها نتيجة الاضطهاد، والحصار الفكريين في الأندلس[٤]. كتب في العديد من فروع العلم: كتب في الحديث، والفقه، وأصول الفقه، والتاريخ، والسيرة، والأخلاق، ولا يتسع بحثنا لتعداد ما كتب في هذه العلوم؛ لأننا

---

[١] ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ٤٣/٣.

[٢] سورة ق، الآية رقم (٩).

[٣] ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ٥٦/٣.

[٤] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص٢٣.





نركز أساسًا على جهوده في مقارنة الأديان، والذي نال أيضًا النصيب الأوفر من كتاباته، التي كانت خلاصتها كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، و"الرد على ابن النغريلة اليهودي"، وكتاب "الأصول والفروع" الذي تعرض فيه ابن حزم لدراسة بعض الملل ونقدها، وكتاب "إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والإنجيل".

يعد هذا الكتاب من أهم وأعمق الكتب التي ألفها ابن حزم. ومادة هذا الكتاب –كما يقول محمود علي حماية– تؤكد هذا الطابع الجدلي الذي تزعمه ابن حزم[١].

أما عن أهمية هذه الموسوعة الجدلية، فيقول عدنان المقراني: "إن كتاب الفصل لابن حزم بما اشتمل عليه من نقد علمي للتوراة والإنجيل يعتبر أول دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس تسبق بآماد طويلة تلك الدراسات التي ظهرت بوادرها في أوروبا في القرن السابع عشر وازدهرت في القرن التاسع عشر"[٢].

وهذا ما أكده أيضًا (لابوليه) بقوله: "إن المسائل الاعتيادية التي عالجها فيما بعد أحبار المسيحية –ممن ذكر أسماءهم –سبق أن بحثها ابن حزم، وناقشها في كتابه "الفصل"، وكثير من هذه التناقضات التي أثبت العلم الحديث وجودها في كتب اليهود والنصارى قد سبق بها ابن حزم وذكرها في كتابه "الفصل" منذ القرن الرابع الهجري مما يدل على قيمة هذا الكتاب، ومكانة صاحبه"[٣].

يعد هذا الكتاب بما يحتويه من نقد علمي للتوراة، والأناجيل أول دراسة نقدية للكتاب المقدس سبقت بأمد طويل أعمال باروخ سبينوزا وغيره، بل لا يستبعد أن يكون سبينوزا نفسه قد تأثر في نقده للتوراة بابن حزم.

---

[١] محمود علي حماية، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، القاهرة، دار المعارف، ط ١، ١٩٨٣، ص ١٤٨.

[٢] المرجع السابق، ص١٤٨.

[٣] المرجع السابق، ص ١٤٩.





الخاتمة:

لقد حاولت من خلال هذا البحث الذي يقوم على دراسة وتحليل الموضوع الذي نحن بصدده، وفي هذه الخاتمة أود أن التأكيد على جملة من النتائج، وهي:

١- كشفت الدراسة عن أن المنهج الجدلي من أهم الوسائل التي يتم بها إحقاق الحق وإزهاق الباطل حيث يسير المنهج الجدلي وفق قواعد وأسس وضوابط معرفية تؤكد جدية الحوار بين الطرفين، وقد شرحها ابن حزم باعتباره من أبرز علماء الجدل والمناظرة.

٢- كما أثبت البحث أن أهم كتب ابن حزم في الجدل هو كتاب الفصْل، وأن أهم القضايا التي عالجها المنهج الجدلي هي تبديل اليهود والنصارى لكتبهم.

٣- بروز الإمام ابن حزم ودوره الكبير في الدفاع الدين والعقيدة الإسلامية وفي الدعوة إليها، كما أسهمت موسوعية ابن حزم وثقافته في إثراء المكتبة العربية الإسلامية.

التوصيات:

في زمن كثر فيه التشويش على ثوابت الإسلام، وتجرأ فيه خصوم الملة –من صهاينة ومعتدين ومُداهنين لهم– على الطعن في الدين وأهله، تبرز الحاجة الملحّة إلى استلهام مناهج العلماء الذين تصدّوا لأمثال هؤلاء في عصورهم، ومن أولئك الإمام الجليل ابن حزم الأندلسي –رحمه الله–، الذي كان مثالًا في الصلابة الفكرية، والجرأة في قول الحق، والرد على الباطل من دون مواربة أو تكلّف.

فليكن في خطابنا المعاصر شيء من بيان ابن حزم، وصلابته، وحرارته في الدفاع عن الحق؛ لا انفعالًا فارغًا، بل علمًا وحجّة، وعزة لا تقبل المساومة.





قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع:

١. ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ضمن مجموع رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.
٢. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٣. ابن حزم، النبذ الكافية في أصول أحكام الدين، تحقيق أحمد حجازي السقا، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨١م.
٤. ابن حزم، رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.
٥. ابن حزم، رسالة في المفاضلة بين الصحابة، تحقيق: سعيد الأفغاني، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٥٩هـ.
٦. ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، د.ت.
٨. أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.
٩. أبو المعالي الجويني، الكافية في الجدل، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٠. أقلاينة المكي، ابن حزم الأندلسي وأثره في الدراسات الحديثية، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، المغرب، ١٩٨٨م.
١١. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
١٢. الحموي: شهاب الدين ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، تونس ١٩٩٣م.
١٣. الحميدي: أبو عبد الله محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م.





١٤. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
١٥. عبد الرحمن حسبن حنبكة، ضوابط المعرفة، دار القلم، بيروت، د.ت.
١٦. عبد الله بن علي الزيدان وغيره، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٦م.
١٧. عبد المجيد محمود عبد الحميد، الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، بدون مكان، ١٩٧٩م.
١٨. محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٦٢م.
١٩. محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته وعصره – آراؤه وفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٠. محمد المنتصر الكتاني وأشرف عبد المقصود: موسوعة تقريب فقه ابن حزم الظاهري، منشورات مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٣م.
٢١. محمد بن عبد الله السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٢٢. محمود علي حماية، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، القاهرة، دار المعارف، ط ١، ١٩٨٣م.
٢٣. نور الدين عاشور أحمد، منهج الجدل والمناظرة عند ابن حزم، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية الجامعة الأسمرية زليتين، العدد ٢٨، ٢٠١٦م.